المبحث الثانى

دلائل عصمته ﷺ

[illegible]

ولقد دلت نصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة على عصمة نبينا محمد ﷺ فى هذا الجانب، وانعقد إجماع الأمة على ذلك وقبل تفصيل ذلك، أرى لزاماً علىَّ بيان مجالات البلاغ الذى أمر الله عز وجل به رسوله ﷺ، وشهادة الله تعالى لنبيه ﷺ بأداء واجب البلاغ على أكمل وجه 0

مجالات البلاغ الذى أمر الله تعالى به رسوله ﷺ :

والبلاغ الذى أمر الله به رسوله ﷺ عام وشامل لكل ما تحتاج إليه البشرية فى عاجلها وآجلها، ودنياها وأخراها، سواء كان ذلك بوحى القرآن، أو وحى السنة، فشمل ذلك إبلاغ القرآن، وإبلاغ السنة، إذ كل ذلك مما أنزله الله عليه من أمر الدين، كما أفاد ذلك عموم الاسم الموصول (ما) فى الآية الكريمة : ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾[1] كما عمم من أراد تبليغهم حيث حذف المفعول الأول لبلغ، ليعم الخلق المرسل إليهم، والتقدير : بلغ جميع ما أنزل إليك من يحتاج إلى معرفته من أمر الدين الموحى به إليك"[2] 0

وقد قام رسول الله ﷺ بذلك البلاغ كله على وجه الكمال والتمام من يوم أن أنزل الله تعالى الرسالة، وكلفه بالبلاغ، بصدر سورة المدثر، ﴿**يا أيها المدثر. قم فأنذر**﴾[3] فإنه من حينئذ قام بإبلاغ القرآن، وإبلاغ السنة على

---

1 () الآية 67 المائدة 0
2 () التحرير والتنوير 6/260 بتصرف 0
3 () الآيتان 1، 2 المدثر 0

حد سواء، لا يألو فى ذلك جهداً ولا يدخر وسعاً، حتى أتم الله له الدين وقمع به المشركين والمبطلين 0

تبليغه القرآن الكريم :

أما تبليغه القرآن فقد قام بذلك استجابة لقوله تعالى : **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً**[1] أى : لتبلغه الناس وتتلوه على مهل لتكون ألفاظه ومعانيه أثبت فى نفوس السامعين[2]0

فقام بذلك حق القيام، فكانت له به عناية خاصة فى تعليمه وإذاعته ونشره، فهو يقرؤه لهم على مكث لو عده العاد لأحصاه، ترتيلاً كما أمر الله، ويسمعهم إياه فى الخطب، والصلاة، وفى الدروس والعظات والدعوة والإرشاد، وفى الفتوى والقضاء، ويدارسهم إياه فيسمع منهم ويسمعون منه، ومن لم يكن حاضراً لديه كأهل البلاد المختلفة، أرسل إليهم بعثات القراء ليعلموهم إياه ويفقهونهم به، كما هو معلوم من رسالته وسيرته وسننه[3]0

وقبل ذلك كله كان لا يكاد ينفك عنه الوحى حتى يقرأه على الناس ويدعو كتبة الوحى فيكتبوه ثم يحفظ فى بيته ليكون وثيقة لحفظه، وحفظ أصحابه كما هو مبين فى مظانه من كتب السنة والسيرة المشرفتين[4]0

تبليغه للسنة الشريفة :

وأما تبليغه للسنة، فما كان أقل شأناً من إبلاغ القرآن، بل كان مسايراً له فى كل أطوار البلاغ على حد سواء، لأن السنة هى : من الوحى الذى أنزل على النبى ، كما قال الله تعالى : **وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا**

---

1 () الآية 106 الإسراء 0

2 () ينظر : تفسير القرآن العظيم 5/125، والتحرير والتنوير 15/231 0

3 () ينظر : مناهل العرفان فى علوم القرآن لمحمد الزرقانى 1/240، والبرهان للزركشى 1/233 0

4 () ينظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 8/627 وباب كاتب النبى 8/638

وحى يوحى[5] وقال عز وجل : **وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**0[2]

ولذلك كانت سنته واجبة الطاعة والامتثال ككلام الله تبارك وتعالى، كما ألزم الله تعالى بقوله : **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**[3] إلى غير من الآيات الكثيرة التى توجب طاعته كما توجب طاعة الله تبارك وتعالى[4]0

فلهذا كان النبى يعنى بإبلاغ السنة كما يعنى بإبلاغ القرآن، بل إن إبلاغه السنة كان أوسع دائرة من حيث إنه لا يمضى عليه حال من الأحوال، إلا وهو محتاج إلى أن يبين ما يستجد فيه من حكم أو موعظة أو قصة أو مثل، إذ القرآن يعنى بجوامع الأمور، وأصول التشريع، وقواعد الأحكام، ويتولى رسول الله بيان دقائق الأخبار وتفاصيل الأحوال فى كل الأحيان والأحوال، بل غالبه مجمل أوكل الله بيانه إلى نبيه محمد بقوله : **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**[5] وقد كان عليه الصلاة والسلام يبين القرآن الكريم على الدوام، والدليل على هذا محسوس ملموس؛ إذ هذه سنته التى بلغت مئات الآلاف من الأحاديث، والمدونة فى دواوين السنة، لم تترك صغيرة ولا كبيرة من أمر الدين إلا وتناولتها بالتفصيل والبيان، حتى بلغ من بيانه ، أن أخبر أصحابه بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة 0

فعن عمرو بن أخطب الأنصارى رضى الله عنه[6] قال : "صلى رسول الله يوماً الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، قال : فأعلمنا أحفظنا"[7]0

---

1 () الآيتان 3، 4 النجم 0
2 () الآية 113 النساء 0
3 () الآية 7 الحشر 0
4 () سيأتى تفصيل هذه الآيات فى الرد على شبهة أنه لا طاعة لرسول الله
5 () الآية 44 النحل 0
6 () صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة 4/177 رقم 3854، والاستيعاب 3/1162 رقم 1889، وتجريد أسماء الصحابة 1/399، والرياض المستطابة ص 237 0

ومن هذا الحديث تعلم مدى تبليغه للسنة، حيث كان ذلك البيان كله فى مجلس واحد، فما بالك ببقية المجالس فى سائر الأيام؟!0

ثم إنه لم يكتف بذلك، بل كلف كل من يسمع عنه شيئاً أن يبلغه إلى من وراءه ليعم بلاغه الأمة فى كل زمان ومكان، ليعملوا بما بلغهم من سنته فى كل ما كلف به بنو الإنسان من أمور الدين والدنيا 0

فقال عليه الصلاة والسلام : **"بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"**[1] ورغبهم عليه الصلاة والسلام فى ذلك وشجعهم عليه بقوله : **"نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"**[2]0

وهكذا أدى رسول الله ، واجب التبليغ تارة بالعبارة، وتارة بالكتابة، وتارة بالحث على إبلاغ من لم يبلغه، لا يألو جهداً، ولا يدخر وسعاً فى إيصال رسالة الله التى حملها إلى كل من يستطيع إيصالها إليه، تنفيذاً لواجب البلاغ الذى تحمله بمقتضى رسالته، وتنفيذاً لأوامر الله تعالى فى ذلك، كقوله سبحانه : **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**[3] فبلغ البلاغ المبين منذ أن بعثه الله تعالى إلى أن أتاه اليقين، وقد شهد له بالعصمة فى هذا البلاغ القرآن الكريم،والسنة المطهرة، وإجماع الأمة، وإليك تفصيل تلك الشهادات 0

أولاً : دلائل عصمته فى تبليغ الوحى من القرآن الكريم والعقل :

جاءت آيات فى القرآن الكريم تثبت عصمته وصدقه فى كل ما يبلغ عن الله تعالى، وهذه الآيات تتضمن أيضاً أدلة عقلية على صدقه . من هذه الآيات ما يلى :

---

7 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفتن، باب إخبار النبى [illegible]

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل 6/572 رقم 3461 من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه

2 () سبق تخريجه ص 16 0

3 () الآية 67 المائدة 0

أ- قول الله تعالى : ﴿**وصدق الله ورسوله**﴾[1] وقوله سبحاه : ﴿**والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون**﴾[2] والذى جاء بالصدق كما يدل عليه سياق هذه الآية هو نبينا محمد ﷺ، وقد شهد لما جاء به من عنده سبحانه (قرآناً وسنة) سماه صدقاً، ويلزم من صدق ما أتى به، صدقه هو فى نفسه، إذ لا يأتى بالصدق إلا كامل الصدق، وذلك مما لا جدال فيه حيث كان صدقه معلوماً منذ حداثة سنه، وشهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه، فإن الأعداء من الكفرة والمشركين لم يكونوا يشكون يوماً فى صدقه، كما قال عز وجل ﴿**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾[3] وكما كانوا يشهدون له بذلك فى مواقف مختلفة، تقدم ذكر بعضها[4]0

وإذا كانت الآيات السابقة شهادات حسية على صدقه فى كل ما يبلغ عن ربه، فهناك شهادات معنوية على صدقه ﷺ تتمثل فى تأييد الله عز وجل له ﷺ بالمعجزات المنزلة منزلة قوله عز وجل : "صدق عبدى فيما يبلغ عنى" ومن هذه المعجزات : القرآن الكريم، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، وتكثير الطعام، والإخبار بمغيبات كثيرة[5] وتأييده له بالنصر على الأعداء، على قلة جنده وضعف عدته فى معركة إثر معركة، ولقاء بعد لقاء، وكل ذلك منزل منزلة قول مرسله تبارك وتعالى : "صدق عبدى فيما يبلغ عنى" 0

إذ أن تأييده بذلك كله، وهو يدعى أنه مرسل من عند ربه، وهو على مسمع من ربه سبحانه ومرأى، وهو جل شأنه لا يزال يؤيده بكل ذلك : دليل على كمال صدقه، وعصمته فى كل ما يبلغه من قرآن وسنة، إذ لو كان بخلاف ذلك لما أيده، ولفضح أمره للملأ، كما هى سنته سبحانه فيمن حاولوا الكذب عليه 0

ب- وقال تعالى : ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾[6]. فهذه الآيات دليل صدقه وعصمته فى تبليغه الوحى (قرآناً وسنة) بدليل التمانع، فقد امتنع أخذه سبحانه لنبيه ﷺ بتلك الصفة، لامتناع

---

1 () جزء من الآية 22 الأحزاب 0
2 () الآية 33 الزمر 0
3 () الآية 33 الأنعام 0
4 () يراجع : ص 8 – 10، وينظر : 270 – 278 0
5 () ينظر : دلائل النبوة لأبى نعيم 2/325 – 572، ودلائل النبوة للبيهقى 6/5 – 552 والخصائص الكبرى للسيوطى 1/78 – 443، 2/3 – 296، ومعجزات الرسول ﷺ [illegible]
6 () الآيات 44 – 47 الحاقة 0

تقوله عليه، وامتناع التقول عليه يعنى الصدق والعصمة فيما يقول ويبلغ عن ربه 0

قلت : وفى الآيات دلالة على أن القرآن الكريم، والسنة المطهرة من عند الله تعالى وهو استدلال بما هو مقرر فى الأذهان، من أن الله عز وجل لا يقرر أحداً على أن يقول عنه كلاماً لم يقله 0

أى : لو لم يكن القرآن والسنة منزلين من عندنا، ومحمد ادعى أنهما منا، لما أقررناه على ذلك، ولعجلنا بإهلاكه. فعدم هلاكه دال على أنه لم يقل على الله ما لم يقله عزوجل، لأن "لو" حرف امتناع، لامتناع، فامتنع ذلك من الله عز وجل، لامتناع سيدنا محمد عن هذه الأشياء 0

قال الحافظ ابن كثير : بعد أن فسر هذه الآيات : "والمعنى فى هذا بل هو صادق بار راشد، لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات"[1]0

وبالجملة : فالآيات من جملة مدحه، ودليل عصمته فى البلاغ لوحى الله تعالى، إذ فيها القسم على تصديقه بجميع الموجودات، وأنه لا يمكنه الافتراء عليه[2] قال تعالى : **فلا أقسم بما تبصرون. ومالا تبصرون. إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين**0[3]

جـ- وقال سبحانه : **وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى**[4] فكلمة "ينطق" فى لسان العرب، تشمل كل ما يخرج من الشفتين قول أو لفظ[5] أى : ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحى من الله عز وجل[6]0

ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء، والفعل إذا وقع فى سياق النفى دل على العموم، وهذا واضح فى إثبات أن كلامه محصور فى كونه وحياً لا يتكلم إلا به وليس بغيره[7] وفى هذا دليل واضح على

---

1 () تفسير القرآن العظيم 8/245، وينظر : الكشاف 4/607، والتحرير والتنوير 29/144 0

2 () شرح الزرقانى على المواهب 9/53 0

3 () الآيات 38 – 43 الحاقة 0

4 () الآيتان 3، 4 النجم 0

5 () ينظر : القاموس المحيط 3/277، ومختار الصحاح ص 666، ولسان العرب 10/354 0

6 () الجامع لأحكام القرآن 17/84، 85 0

عصمته ، فى كل أمر بلغه عن ربه من كتاب وسنة، فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه، ولا يقول إلا ما أمر به فبلغه إلى الناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان، وهذه شهادة وتزكية من الله عز وجل لنبيه ورسوله فى كل ما بلغه للناس من شرعه تعالى 0

د- وقال عز وجل : **وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً**[1] فهذه الآيات من جملة الآيات المادحة للمصطفى ، والشهادة بعصمته فى كل ما يبلغ عن ربه عز وجل. وحكم "كاد" فى الآيات حكم سائر الأفعال، فمعناها : منفى إذا صحبها حرف نفى، وثابت إذا لم يصحبها، فإذا قيل كاد زيد يبكى، فمعناه : قارب البكاء، فمقاربة البكاء ثابتة، وإذا قيل : لم يكد يبكى، فمعناه : لم يقارب البكاء، فمقاربته منفية، ونفسه منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة"[2] والشرط فى الآيات على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع، والمعنى : لولا ثبوت تثبيتنا إياك، لقد قاربت أن تميل إليهم شيئاً يسيراً من أدنى الميل، لكن امتنع قرب ميلك وهواك لوجود تثبيتنا إياك 0

فتأمل كيف بدأ بثباته وسلامته بالعصمة، قبل ذكر ما عتبه عليه، وخيف أن يركن إليهم، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع. وتأمل كيف جاء فى أثناء عتبه – إن كان ثم عتب – براءته، وفى طى تخويفه تأمينه وكرامته 0

وبالجملة : فسياق الآيات بين واضح فى أن رسول الله لم يركن إليهم أبداً، وإلا لأنزل الله به من العقوبة ما ذكره فى هذه الآيات، وحيث إن رسول الله لم يقع له شئ من ذلك، فلم يعذبه ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات، ولم يتخلى عنه طرفة عين، كما تشهد بذلك سيرته العطرة، دل ذلك على أنه ، لم يتقول على ربه مالم يقله، ولم يفتر شيئاً من عند نفسه، وبهذا تثبت عصمته فى كل ما بلغه عن ربه من وحى الله تعالى قرآناً وسنة 0

---

7 () ينظر : تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص 55، والمدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 47، 48 0

1 () الآيات 73 – 75 الإسراء 0

2 () شرح الزرقانى على المواهب 9/52 0

قال القاضى عياض: "فى الآية دليل على أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار، ورامو‌ه من فتنته، ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته وهو مفهوم الآية"[1]0

هـ- وقال سبحانه : **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً**0[2]

قال الإمام القسطلانى[3] : "يعنى : من أطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً إلى الخلق أحكام الله فهو فى الحقيقة ما أطاع إلا الله... وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول معصوم فى جميع الأوامر والنواهى، وفى كل ما يبلغه عن الله، لأنه لو أخطأ فى شئ منها لم تكن طاعته طاعة لله، وأيضاً وجب أن يكون معصوماً فى جميع أحواله، لأنه تعالى أمر بمتابعته فى قوله تعالى : **فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**[4] والمتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير، فثبت أن الانقياد له فى جميع أقواله وأفعاله، إلا ما خصه الدليل، طاعة له، وانقياد لحكم الله تعالى"[5]0

و- ليس أدل على عصمة رسول الله فى تبليغ وحى ربه، من تبليغه حتى ما يمس جنابه العظيم، من العتاب الذى كان يوجهه الله تعالى إليه، كما هو مقتضى تأديب الله تعالى له الدال عليه ما روى عنه من حديث ابن مسعود رضى الله يرفعه : **"أدبنى ربى فأحسن تأديبى"**[6] وذلك كما فى قوله جل شأنه : **يا أيها النبى لم تحرم ما أحل ما أحل**

---

1 () الشفا 2/129 وينظر : محمد مفخرة الإنسانية لمحمد فتح الله كولن 2/225 0

2 () الآية 80 النساء 0

3 () هو أحمد بن محمد بن على القسطلانى، المصرى، الشافعى، الإمام الحافظ، العلامة، الحجة، الرحالة، الفقيه، المقرئ، المسند، من مؤلفاته النافعة : عمدة القارى بشرح صحيح البخارى، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية، مات سنة 923 له ترجمة فى : الضوء اللامع للسخاوى 2/103، 104، والبدر الطالع للشوكانى 1/102، 103، ومعجم المؤلفين لكحالة 2/85، والرسالة المستطرفة للكتانى ص 200 0

4 () الآية 158 الأعراف 0

5 () المواهب اللدنية وشرحها للزرقانى 8/505، 506 0

6 () سبق تخريجه ص 45 0

الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم[7] وقوله سبحانه : **وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**[2] إلى غير ذلك من آيات العتاب التى سبق ذكرها والجواب عما يشكل من ظاهرها فى عدم عصمته 0[3]

فآيات العتاب فى القرآن الكريم ما كان ليتفوه النبى بها لولا كمال عصمته فى البلاغ وكمال أمانته فيه، لأن كتمان ذلك فى نظر العقول البشرية ستر على النفس الشريفة، واستيفاء لحرمة آرائه، ولكنه الوحى لا يستطيع كتمانه، ولذلك قال أنس بن مالك رضى الله عنه : "لو كان رسول الله كاتماً شيئاً، لكتم هذه الآية **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**[4] وعن عائشة رضى الله عنها قالت : "من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول : **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**[5] ولقد صدق أنس، وصدقت عائشة رضى الله عنهما، وبرا، فما أدق استنباطهما فى الدلالة على عصمة رسول الله فى بلاغه وحى الله إلى الناس!0

ز- وقال تعالى : **وما هو على الغيب بضنين**[6] ففى هذه الآية الكريمة يزكى رب العزة نبيه، ويشهد له بالعصمة فى بلاغ الوحى، فقوله "بضنين" قرأت بالظاء، أى : ما هو على ما يخبر به من الوحى إليه، وغيره من الغيوب، بمتهم، وقرأت بالضاد "بضنين" من الضن : وهو البخل، أى : لا يبخل بالتعليم والتبليغ[7] بل يبذله لكل أحد، كما قال قتادة : كان القرآن

---

1 () الآية الأولى التحريم 0

2 () جزء من الآية 37 الأحزاب 0

3 () يراجع ص 148 – 181 0

4 () الآية 37 الأحزاب، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء 13/415 رقم 7420، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان" باب معنى قول الله عز وجل : [illegible] 2/9[illegible]

5 () الآية 67 المائدة، والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها برقم 288، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب يا أيها الرسول بلغ الخ 8/ 124 رقم 4612، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : [illegible]

6 () الآية 24 التكوير 0

7 () أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى 5/290، 291 0

غيباً، فأنزله الله تعالى على محمد، فما ضن به على الناس، بل نشره وبلغه، وبذله لكل من أراده، قال الحفاظ ابن كثير : وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح[1]0

ح- وقال سبحانه : ﴿**فتول عنهم فما أنت بملوم**﴾[2] فهذه شهادة من رب العزة لنبيه بالبلاغ المبين وعصمته فيه، حيث أباح لنبيه الإعراض عن المشركين، وأخبر أنه غير ملوم فى إعراضه عنهم، وما ذاك إلا لأنه أدى لهم الرسالة، وبذل معهم غاية الجهد، بحيث إنهم اعترفوا بذلك فى قولهم كما حكاه رب العزة عنهم : ﴿**أهذا الذى بعث الله رسولا إن كان ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها**0[3]﴾

قال الإمام الزمخشرى : "قولهم إن كاد ليضلنا دليل على فرض مجاهدة رسول الله ، فى دعوتهم، وبذل قصارى الوسع والطاقة فى استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم، حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، لولا فرط لجاجهم، واستمساكهم بعبادة آلهتهم"[4]0

وبعد : فهذه شهادات من الله عز وجل لرسوله بعصمته فى أداء واجب البلاغ على أكمل وجه (وكفى بالله شهيداً) ولم يكتف عز وجل لحبيبه محمد بهذه الشهادات، بل لقد أضاف إليها شهادة أخرى بأسلوب آخر، حيث قال جل شأنه : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[5] فإن كمال الدين لا يكون إلا بالتبليغ لجميع أحكامه، وما أوحى الله إليه من كتاب وسنة، وعصمته فى هذا البلاغ 0

ومع ما شهد الله له بالعصمة فى بلاغ الوحي، فإنه عليه الصلاة والسلام أحب أن تشهد له أمته بذلك فاستنطقها بذلك فى أعظم المحافل، وذلك فى يوم عرفه فى حجة الوداع، حيث قال لهم فى خطبته العظيمة ذلك اليوم : **"وأنتم تسالون عنى، فما أنتم قائلون؟** قالوا : نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : **اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات"**[6] فشهد له خير قرون هذه الأمة

---

1 () تفسير القرآن العظيم 8/362، وينظر : النبأ العظيم للدكتور محمد دراز ص 24 – 27 0

2 () الآية 54 الزاريات 0

3 () الآيتان 41، 42 الفرقان 0

4 () الكشاف 3/93 0

5 () جزء من الآية 3 المائدة 0

وهم صحابته رضوان الله عليهم[7] وفي حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه[2] فى قصة الكسوف قال : **"يا أيها الناس، إنما أنا بشر، ورسول الله، فأذكركم الله إن كنتم تعلمون إنى قصرت عن شئ من تبليغ رسالات ربى لما أخبرتمونى!** قال : فقام الناس فقالوا : نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وقضيت الذى عليك"[3]0

فهكذا كانت سناء أخلاقه العظيمة تحمله على أن يتحسس من أصحابه أن يخبروه إن وجدوا منه تقصيراً فى واجب البلاغ، وذلك لكمال خشيته لله عز وجل وأمانته فيما اؤتمن عليه، وإلا فإنه يعلم أنه المعصوم عن ذلك، فإن كان جانب البشرية منه يجوز له التقصير، فإن واجب العصمة تمنعه منه، ويدفعه إلى كمال البلاغ 0

ثانياً : دلائل عصمته فى تبليغ الوحى من خلال السنة المطهرة والسيرة العطرة :

الدلائل على صدق رسول الله فى كل ما يخبر به عن الله تعالى من الوحى وعصمته فيه من خلال السنة والسيرة كثيرة منها :

أ- حاله قبل النبوة، فصدقه عليه الصلاة والسلام مع الناس دليل على صدقه فيما يخبر به عن ربه؛ إذ لا يترك إنسان الكذب على الناس ثم يكذب على الله تعالى 0

وهذا القياس العقلى قد استخدمه هرقل، وهو يسأل أبا سفيان بن حرب أثناء رحلة تجارية بالشام، عن أحوال النبى وصفاته فكان مما سأل عنه : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان، قلت : لا.
(فاستخلص هرقل النتيجة المنطقية لهذا، وهى أن محمداً صادق فى دعواه الرسالة، وفى كل ما يخبر به عن الله تعالى) قائلاً : إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله[4]. وقد شهد له بالصدق، الأعداء والأصدقاء على السواء 0

---

6 () جزء من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى بيان حجة النبى . [illegible] 4/429 432 [illegible]

1 () تفسير القرآن العظيم 3/142 0

2 () صحابى جليل له ترجمة فى أسد الغابة 2/554 رقم 2242، والاستيعاب 2/653 رقم 1063، ومشاهير علماء الأمصار ص 49 رقم 223، والرياض المستطابة ص 107، 108 0

3 () أخرجه الحاكم فى المستدرك 1/478، 479 رقم 1230 وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى 0

4 () سبق تخريجه ص 9 0

فمن شهادات الأعداء ما يلى :

1- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[1] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف : **يا صباحاه،** فقالوا : من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال : "أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ قالوا : نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً!! وفى رواية : ما جربنا عليك كذباً!! قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد"[2]0

هكذا يعترف له قومه أجمعون بالصدق، وعدم عثورهم على ما يناقض هذا الخلق منه، وهم وإن لم يكونوا قد ناصبوه العداء آنذاك، إلا أن هذه الشهادة وغيرها ظلت قائمة لا ينازعون فيها، ولم يسحبوها حينما جاهرهم بالدعوة وناصبوه العداء، وقد حرصوا بعد ذلك على صد الناس عن الإيمان كل الحرص، وبذلوا كل جهد، غير أنهم لم يقدروا أن ينالوا من صدقه وأمانته وعفافه.. حتى قال أبو طالب فى لاميته المشهورة التى قالها إبان المقاطعة التى ضربوها عليه وعلى قومه بنى هاشم، لعدم كفهم رسول الله ﷺ عن دعوته، أو تخليهم عنه، قال لهم مذكراً بحاله وأخلاقه :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب *** لدينا ولا يعنى بقول الأباطل[3]0

فهم يعلمون هذه الحقيقة حقا، ولكن تعاموا عنها، وأعماهم الباطل والكبر والعناد، كما قال الله تعالى : ﴿**وجحدوا بها واستيقانتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً**﴾[4] وكما قال عز وجل : ﴿**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾[5] ومما روى فى ذلك تفسيراً للآية الأخيرة 0

2- أن الأخنس بن شريف سأل أبو جهل، وقد خلا كل منهما بالآخر يوم بدر، فقال : يا أبا الحكم، أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيرى وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل : ويحك، والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذ ذهب

بنو قصى باللواء، والحجابة، والسقاية، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله تعالى : ﴿**فإنم يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾ : قال : "فآيات الله يا محمد : محمد 0[6]"﴾

---

1 () الآية 214 الشعراء 0
2 () سبق تخريجه ص 10 0
3 () السيرة النبوية لابن هشام مع الروض الأنف 2/28 0
4 () الآية 14 النمل 0
5 () الآية 33 الأنعام 0
6 () أخرجه ابن جرير فى تفسيره جامع البيان 7/181 عن السدى الكبير، وذكره ابن كثير فى تفسيره 3/246، 247 معزواً إليه،

3- وعن على بن أبى طالب قال : قال أبو جهل للنبى ، قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم وتصدق الحديث، ولا نكذبك ولكن نكذب الذى جئت به، فأنزل الله عز وجل : **قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**0[1]

4- ومن شهادات الأعداء لرسول الله بالصدق، شهادة أمية بن خلف عندما قال له سعد بن معاذ، إنى سمعت محمداً يزعم أنه قاتلك قال : إياى؟ قال : نعم. قال : والله ما يكذب محمد إذا حدث، وقد تحقق ذلك يوم بدر حيث اشترك فى الغزوة، ورآه المسلمون فقتلوه شر قتلة[2]0

5- ومن ذلك أيضاً شهادة النضر بن الحارث فى قوله : "يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، ولقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم عقلاً، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه[3] الشيب، وجاءكم بما جاءكم قلتم : ساحراً! لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم : كاهن! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم : شاعر! لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم : مجنون! لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، ثم قال لهم، يا معشر قريش، انظروا فى شأنكـم،

ويعضد هذه الرواية، حديث على بن أبى طالب المذكور بعده أهـ 0

1 () الآية 33 الأنعام، والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك 2/345 رقم 3230 وصححه على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبى بأنهما لم يخرجا لناجية بن كعب الأسدى، رواية عن علىّ شيئاً، وهو ثقة، كما قال الحافظ فى تقريب التهذيب 2/236 رقم 7091، وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير، باب سورة الأنعام 5/243 رقم 3064، وتعقبه بنحو كلام الذهبى أهـ 0

2 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام 6/727 رقم 3632، وكتاب المغازى، باب ذكر النبى [illegible]

3 () الصدغ : ما بين العين والأذن، ويسمى الشعر المتدلى فى هذا الموضع صدغاً. مختار الصحاح ص 359، والمصباح المنير 1/359 0

فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم"[4] فهذا كلام النضر بن الحارث الـذى كـان

من شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذى رسول الله ، وينصب له العداوة. وكذا قال غيره كلاماً نحو ذلك من إثبات صدق النبى ، وكماله الخلقى والخلقى، كالوليد بن المغيرة[1] وعتبة بن ربيعة[2] وغيرهما 0

ومن شهادات الصحابة رضى الله عنهم بصدقه ما يلى :

1- قول خديجة رضى الله عنها فى قصة بدء الوحى، حيث قالت له وهى الخبيرة به : "كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق"[3]0

فهذه شهادة من خبر أخلاقه وسبر أحواله ، ولا ينبئك مثل خبير، ولذلك كانت مثل هذه الشهادات على صدقه من أقرب الناس إليه تعد من أبلغ الدلائل على صدق دعواه الرسالة، وعصمته فى بلاغ الوحى، وكانت تلك الشهادات محل ثقة أعدائه 0

قال الكتاب المستشرق الإنجليزى (هـ جى ويلز) : "إن من أرفع الأدلة على صدق محمد كون أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون به، فقد كانوا مطلعين على أسراره، ولو شكوا فى صدقه لما آمنوا به"[4]0

2- ومن أقوال الصحابة رضى الله عنهم عن صدقه وعصمته فى بلاغ الوحى، ما كان يعبر عنه ابن مسعود رضى الله عنه بقوله : "حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق : "إن **أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك**... الحديث"[5]0

---

4 () أخرجه ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام 1/376 نص رقم 285، والبيهقى من طريقه فى دلائل النبوة 2/201 عن ابن عباس رضى الله عنهما 0

1 () ينظر : دلائل النبوة للبيهقى 2/200 0

2 () ينظر : المصدر السابق 2/203 0

3 () سبق تخريجه ص 198 0

4 () الإسلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب لأحمد بن حجر آل بوطامى ص 132 0

5 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى : [illegible] 6/418 [illegible]

3- وكذا كان يقول أبو هريرة رضى الله عنه، كقوله : "سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق ، صاحب هذه الحجرة يقول : **"لا تنزع الرحمة إلا من شقى"**[1]0

4- وكذلك ما كان من أبى بكر رضى الله عنه من التصديق الكامل بكل ما يقوله النبى منذ أول دعوته، حتى شهد له بذلك بقوله : **"إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر : صدق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟ مرتين**..."[2]0

وبالجملة : فقد كانت هيئته تدل على مبلغ مكانته من الصدق، ودليلاً كافياً على صدق دعواه الرسالة، وعصمته فى كل ما يبلغه من وحى الله عز وجل، يعرفه بذلك كل من صفت فكرته، وتجرد عن الأنانية كما كان من الحبر عبد الله بن سلام رضى الله عنه[3] فإنه ما إن رآه عند مقدمة المدينة حتى استيقن صدقه كما قال : "لما قدم النبى المدينة انجفل[4] الناس إليه، وقيل قدم رسول الله ، قدم رسول الله ، قدم رسول الله ، فجئت فى الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شئ تكلم به أن قال : **"أيها الناس : أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام"**[5]0

---

1 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأدب، باب الرحمة 4/286 رقم 4942، والترمذى فى سننه كتاب البر، باب ما جاء فى رحمة الناس 4/285 رقم 1923 وقال : حديث حسن 0

2 () أخبره البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبى بكر بعد النبى 7/22

3 () ابن الحارث الإسرائيلى، ثم الأنصارى الخزرجى بالولاء، كان أحد أحبار يهود، شهد شهادة الحق ولم يكابر أو يعاند، ونزل فى فضله آيات من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى :

4 () أى : ذهبوا مسرعين نحوه. النهاية فى غريب الحديث 1/270 0

5 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب القيامة، باب منه 4/562 رقم 2485 وقال حديث صحيح، وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الإقامة، باب ما جاء فى قيام الليل 1/419 رقم 1334، والحاكم فى المستدرك 3/14 رقم 4283 وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى 0

فلم يسعه بعد ذلك غير أن يعلن إسلامه، ويتبرأ من كيد يهود وعنادهم ففعل ذلك مقتنعاً مختاراً، ولقد أجاد عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حيث قال :

لو لم تكن فيه آيات مبينة *** لكان منظره ينبيك بالخبر[1]0

فانظر إلى حكاية الصحابة رضى الله عنهم عن صدقه حيث يسمونه بالصادق المصدوق، أى الصادق فى نفسه، المصدوق أى المعصوم فيما يجئ به عن ربه عز وجل، ويرون صدقه وعصمته ينبئ عنه مظهره وجواره، قبل أن تنبئ عنه أقواله 0

ب- من دلائل عصمته فى نقل الوحى، ما ثبت من أخباره وآثاره، وسيره وشمائله، المعتنى بها، المستوفاة تفاصيلها، ولم يرد فى شئ منها تداركه لخبر صدر عنه، رجوعاً عن كذبة كذبها أو اعترافاً بخلف فى خبر أخبر به، ولو وقع منه شئ من ذلك لنقل إلينا. وإن الصحابة رضوان الله عليهم قد اتفقوا على أنه لم يصدر عن النبى خبر بخلاف الواقع فى أى أمر من الأمور، ولم يتثبتوا عن حاله عند ذلك، هل وقع فيها سهواً أم لا، ولم يتوقفوا حتى يتأكدوا إن كان ذلك جداً أو هزلاً، لأنه عليه الصلاة والسلام صادق معصوم فى كل ذلك عندهم، كل الصدق، وكل العصمة 0

قال القاضى عياض : "ودليل ذلك اتفاق السلف، وإجماعهم عليه، وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أقواله، والثقة بجميع أخباره فى أى باب كانت، وعن أى شئ وقعت، وأنه لم يكن لهم توقف، ولا تردد فى شئ منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك، هل وقع فيها سهو أم لا"[2] وقد استدل على ذلك بما جرى لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، مع ابن أبى الحقيق اليهودى، حين أجلاهم من خيبر، حيث احتج عليه عمر رضى الله عنه، بقوله : **"كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة؟!"** فقال اليهودى : كانت هذه هزيلة من أبى القاسم فقال له عمر : كذبت يا عدو الله! فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك"[3]0

قلت : فثبت عن يقين عصمته فى بلاغ وحى الله من كتاب وسنة إلى الناس، ولا يجوز عليه خلف فيما أخبر به من الوحى، لا بقصد، ولا بغير قصد، ولا فى حال الجد والهزل، ولا فى حال الصحة والمرض أو أى حال كان 0

جـ- ومما يشهد بعصمته فى بلاغ الوحى، وأنه لا يقول إلا حقاً سواء فى الرضى والغضب، والصحة والمرض "فترة الوحى فى قصة الإفك" لقد كانت تنزل برسول الله نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه، لوجد له مقالاً

---

1 () ديوان عبد الله بن رواحه ص 94 0

2 () الشفا / 135، 136 0

3 () سبق تخريجه ص 18 0

ومجالاً، ولكنه كانت تمضي الليالى والأيام تتبعها الليالى والأيام، ولا يجد فى شأنها وحياً من قرآن أو سنة يقرؤه على الناس 0

ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضى الله عنها، وأبطأ الوحى، وطال الأمر والناس يخوضون، حتى بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس : **"إنى لا أعلم عنها إلا خيراً"** ثم إنه بعد أن بذل جهده فى التحرى والسؤال، واستشارة الأصحاب، ومضى شهر بأكمله، والكل يقولون ما علمنا عليها من سوء، لم يزد على أن قال آخر الأمر : **"يا عائشة، أما إنه بلغنى كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله"**[1]0

هذا كلامه بوحى ضميره، وهو كما ترى كلام البشر الذى لا يعلم الغيب إلا بوحى ربه، وكلام الصديق المتثبت الذى لا يتبع الظن، ولا يقول ما ليس له به علم 0

على أنه ، لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلناً براءتها، ومصدراً الحكم المبرم بشرفها وطهارتها. فماذا كان يمنعه، لو أن أمر الوحى إليه، أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل، ليحمى بها عرضه، ويذب بها عن عرينه، وينسبها إلى الوحى الإلهى لتنقطع ألسنة المتخرصين؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله، قال تعالى : **ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين**0[2]

د- هذا حاله فى أفعاله يشهد بصدقه وعصمته فى كل ما يبلغ عن ربه عز وجل، ومن أقواله على عصمته فى بلاغ وحى الله عز وجل من كتاب وسنة ما يلى :

1- حديث طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه وجاء فيه قوله : **"إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإنى لن أكذب على الله"**[3] والحديث نص على عصمته من الكذب فيما يخبر به عن الله تعالى 0

---

1 () ينظر قصة الحديث فى : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً الآية 8/306 رقم 4750، ومسلم (بشرح النووى) كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف 9/115 رقم 2770 0

2 () الآيات 44 – 47 الحاقة، وينظر : النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص 20 – 24 بتصرف يسير 0

3 () سبق تخريجه ص 12 0

2- حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله أريد حفظه، فنهتنى قريش وقالوا : أتكتب كل شئ تسمعه؟ ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضى؟! قال : فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال : **"أكتب فواللذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا الحق"**[1]0

3- حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله أنه قال : **"إنى لا أقول إلا حقاً"** قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يا رسول الله. قال : "إنى لا أقول إلا حقاً"[2]0

ثالثاً : من دلائل عصمته فى تبليغ الوحى، إجماع الأمة :

أجمع أهل الملل والشرائع كلها على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أى شئ يخل بالتبليغ، فلا يجوز عليهم التحريف، ولا الكذب قليلة وكثيرة، سهوه وعمده، فكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة، وإلا لم يبق الاعتماد على شئ من الشرائع، ولما تميز لنا الغلط والسهو من غيره، ولاختلط الحق بالباطل، واستدلوا لذلك بأنه لو جاز عليهم التقول والافتراء فى ذلك عقلاً، لأدى إلى إبطال المعجزة القاطعة بصدقهم؛ وإبطال المعجزة محال، فالكذب فى التبليغ وعدم العصمة فيه، محال أيضاً[3]0

يقول القاضى عياض : "قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار بشئ منها بخلاف ما هو به[4] والكلام هنا ليس خاصاً بالنبى ، بل وغيره من الأنبياء كذلك، إذ لا فرق بينهم فى واجب التبليغ 0

واستدل القاضى على ذلك بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص السابق ذكره قريباً، ثم قال: فإذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقاً، ولا

---

1 () سبق تخريجه ص 238 0

2 () أخرجه أحمد فى مسنده 2/340، 360، والترمذى فى سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى المزاح 4/314 رقم 1990 وقال : حسن صحيح 0

3 () المواقف للإيجى وشرحها للجرجانى 8/263 بتصرف، وينظر : الإرشاد لإمام الحرمين ص 357، وإكمال إكمال المعلم للأبى 6/159، ونسيم الرياض فى شرح الشفا للخفاجى 4/117، وعصمة الأنبياء للرازى ص 7، والشفا للقاضى عياض 2/144،والبحر المحيط للزركشى 4/174، والإحكام لابن حزم 1/124، والنبوات لابن تيميه ص 334، 335، والانتصار والرد على ابن الراوندى للخياط ص 147، ومحمد رسول الله □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□/□ – □□□ □

4 () أى : بخلاف الواقع 0

يبلغ عن الله تعالى إلا صدقاً، وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له : صدقت فيما تذكر عنى، وهو يقول : إنى رسول الله إليكم، لأبلغكم ما أرسلت به إليكم، وأبين لكم ما نزل عليكم، فلا يصح أن يوجد منه فى هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أى وجه كان، قال : فلو جوزنا عليه الغلط والسهو فى بلاغ الوحى، لما تميز لنا الغلط والسهو من غيره، ولاختلط الحق بالباطل، فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص، فتنزيه النبى ، عن ذلك كله واجب برهاناً وإجماعاً"[1]0

وبعد : إذا تقرر لك هنا فى هذا الفصل، عصمته فى تبليغ الوحى، من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، وإجماع الأمة، فقد حان الوقت لبيان شبه الطاعنين فى الوحى الإلهى من أعداء الإسلام، وأعداء السنة المطهرة والرد عليها، فإلى بيان ذلك فى الفصل التالى 0

---

[1] () الشفا 2/123، 124 بتصرف، وينظر من نفس المصدر 2/136، 137 0